تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي

ا.م.د. حسن هادي عبد الكاظم الغزالي
كلية الفنون الجميلة – جامعة القادسية
hassan.alghazali@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٣/١٢/٢٨
تاريخ قبول النشر ٢٠٢٤/٢/١١

الملخص:

يدرس هذا البحث الحالي (تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي)، إذ شمل أربعة فصول، عني الفصل الأول بمشكلة البحث وأهميته والحاجة إليه، ثم هدفه، وحدوده، وتحديد المصطلحات الواردة وتعرفيها، فقد تناولت مشكلة البحث الفن على أنه أداة لتطهير النفوس البشرية والارتقاء بها إلى اعلى مقامات التعبير الجمالي والقيم الحسنة. إن القيم الحسنة متنوعة وفيها مستويات عليا تختلف بحسب كل مجتمع ومكوناته وطريقة حياته المعاشية، فالتصوير الاسلامي أحد الفروع البارزة والممثلة للفن الاسلامي اوصل للعالم صورة واضحة ذات قيمة غاية في الاهمية بالحياة بكل جوانبها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي خلال تاريخ العصور الاسلامية. ومن هنا تعد واضحة أهمية مشكلة البحث من خلال التساؤل الاتي:

هل كان للفنان الدور الأساس في إظهار تلك الأفعال الحسنة مرة والسيئة مرة أخرى أم هي مجرد تصويرات تمثل الواقع المعاش في ذلك الزمن؟ وكيف تمثلت الأفعال الحسنة والأفعال غير الحسنة في المنمنمات الإسلامية التي مثلت حقبة زمنية من العصر الاسلامي؟.

اما هدف البحث الحالي فهو: تعرف تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي.

وتمثلت حدود البحث:

الحدود الموضوعية: تركز الدراسة الحالية على دراسة وتفسير تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي والمتوفرة في المصادر والمراجع ذات العلاقة، فضلا عن ما متيسر بالشبكة العنكبوتية (الانترنيت).

الحدود الزمانية: الحقبة الزمنية (من بداية القرن ٧ هـ حتى القرن ١٠ هـ)، إذ مثلت قمة الازدهار في المدارس الرئيسة للتصوير الاسلامي.

الحدود المكانية: العراق وإيران وتركيا وأغلب متاحفها ومراكزها الثقافية.

بينما اشتمل الفصل الثاني على الإطار النظري وما أسفر عنه من مؤشرات، ليحتوي على مبحثين وهي كالاتي:

المبحث الاول: العادات الحسنة والسيئة في الفكر الاسلامي، والمبحث الثاني: مقاربات العادات الحسنة والسيئة في مدارس التصوير الاسلامي. في حين احتوى الفصل الثالث على اجراءات البحث

وتضـــمنت مجتمع البحث والبالغ (٣٦) منمنمة، وعينة البحث التي تم اختيارها بالطريقة القصـــدية وبلغت (٣) منمنمة من التصـــوير الاســـلامي للمدارس الرئيســـة والمهمة. والفصـــل الرابع تضـــمن النتائج، والاستنتاجات، والتوصيات، ثم المقترحات، ومن أهم نتائج البحث:

١. التقوى وهي من أهم العادات الحسنة وأعظم أفعال الخير التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم ويشير خُلق التقوى إلى الخوف من الله تعالى باجتناب ما نهى عنه من أفعال منكرة وسيئة واتباع ما أمر به.

٢. تمثل الصلاة قوة عادة حسنة عظيمة أخلاقياً تنهي عن الفحشاء والمنكر، وفي هذه القوة مدد أي مدد لضمير المؤمن يقويه على فعل الخير وترك الشر والمنبوذ من الأفعال السيئة ومجانبة الفحشاء والمنكر ومقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى ورعاية حدوده.

٣. الاحتيال والسرقة والكذب والفحشاء عادات سيئة نهى عنها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فهي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والغضب الالهي. وأشار الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات ذات العالقة بموضوع البحث.

كلمات مفتاحية: تمثل، حسنة، القيم، السيئة، المنمنمات.

Abstract

This current research studies (representing good and bad habits in Islamic photography). This study included four chapters. The first chapter dealt with the problem of the research، its importance and the need for it, then its goal and limits, and defining and defining the terms included. The research problem dealt with art as a tool for purifying human souls and elevating them to the highest positions. Aesthetic expression and good values. Good values are diverse and have higher levels that differ according to each society, its components, and its way of living. Islamic photography is one of the prominent and representative branches of Islamic art, conveying to the world a clear image of great value In the importance of life in all its economic, social and cultural aspects during the history of Islamic times. Hence, the importance of the research problem is clear through the following question:

Did the artist have the primary role in showing those good deeds at times and bad deeds at other times, or are they merely depictions that represent the lived reality of that time? How were good deeds and bad deeds represented in Islamic miniatures that represented a time period of the Islamic era?

The goal of the current research is: to know the representation of good and bad customs in Islamic photography.

The limitations of the research were:

Objective limits: The current study focuses on interpreting the representation of good and bad customs in Islamic photography, which are available in relevant sources and references, as well as what is available on the Internet.

Temporal boundaries: The time period (from the beginning of the 7th century AH until the 10th century AH), as it represented the peak of prosperity in the main schools of Islamic painting.

Spatial borders: Iraq, Iran, Turkey and most of their museums and cultural centers.

While the second chapter included the theoretical framework and the resulting indicators, it contains two sections, which are as follows:

The first section: Good and bad habits in Islamic thought, and the second section: Approaches to good and bad habits in schools of Islamic photography, while the third section contained research procedures and included community

The research consisted of (36) miniatures, and the research sample that was chosen intentionally amounted to (3) miniatures from Islamic painting of the main and important schools. The fourth chapter includes results, conclusions, recommendations, and then proposals. The most important results of the research are:

1. Piety is one of the most important good habits and the greatest good deeds that a Muslim person must possess. The character of piety refers to the fear of God Almighty by avoiding what He has forbidden of reprehensible and bad actions and following what He has commanded.
2. Prayer represents the power of a good, morally great habit that forbids indecency and evil. This power strengthens the conscience of the believer, strengthening him to do good, abandon evil, avoid bad deeds, avoid indecency and evil, resist panic at evil, and refrain from good. It instils in the heart God Almighty's monitoring and care. Its limits.
3. Fraud, theft, lying, and immorality are bad habits that God Almighty forbids in the Holy Qur'an, as they lead to destruction and divine wrath. The researcher pointed to a set of conclusions, recommendations and proposals related to the research topic.

Keywords: representing, good, good, values, bad, miniatures.

الفصل الأول: الإطار العام للبحث

اولا: مشكلة البحث

إن الفن "هو الاحساس الجمالي والشعور الإنساني المعبر عن فكرة أو ذوق معين، وهو ميدان جد واسع وثري يشمل عدة مجالات منها الرسم، المسرح، الموسيقى، فن العمارة، التصميم، النحت...الخ، فكل هذه الفنون لها ميادينها الخاصة بها، وهناك من يعرف الفن بكونه النشاط الإنساني الذي يحمل دلالات الوجدان والاحساس والشعور، فهو (صورة النفس الانسانية)، ولعل الوظيفة الرئيسة للفن هي تهذيب النفس البشرية وتطهيرها من كل الأفعال السيئة والتحلي بالأفعال الحسنة، ومن ثم الارتقاء بها إلى أعلى مراتب

التعبير الجمالي والقيم النبيلة، ومنذ القدم عبر الفن عن الهوية، وفي معظم المجتمعات القديمة الكبرى كانت تعرف هوية الإنسان من خلال الأشكال الفنية التعبيرية التي تدل عليه كما عاداته وأفعال الخير من الصدق والامانة والمرؤة والشجاعة والكرم مثلما ظهرت نماذج ملابسه، وطرزها وزخرفة الجسم، وتزيينه، وعادات الرقص، وقد حصل الفنان المسلم على ذلك عن طريق تقسيم وتحليل تلك الاشكال فنراها مرة متشابكة واخرى متداخلة وأحيانا متلاصقة. ويعد التصوير الاسلامي أحد الفروع المهمة في الآثار الإسلامية بوجه عام وفي الفنون الإسلامية بوجه خاص، فالتصوير الاسلامي يمدنا بلمحة قيمة غاية في الاهمية في الحياة اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً خلال العصور الإسلامية في تلك الاقطار المترامية في الشرق والغرب الاسلامي، وذلك ان كثيراً من مناظر ومشاهد التصوير وردت في صور الفن الجداري أو في المخطوطات الاسلامية، انما هي تسجيل للبيئة العربية والاسلامية وما يسودها من حياة يومية أو حوادث تاريخية. مر التصوير الاسلامي بمراحل متعددة لكل مرحلة عواملها المؤثرة فيها وظروفها وبيئاتها، ويمكن حصرها في مدارس أربع رئيسة المتمثلة بمدرسة بغداد للتصوير الاسلامي ورائدها يحيى بن محمود الواسطي، والمدرسة الفارسية للتصوير الاسلامي ورائدها كمال دين بهزاد، والمدرسة العثمانية للتصوير الاسلامي.

وهنا تكمن مشـكلة البحث بعدة تسـاؤلات تمت صـياغتها من قبل الباحث: ومنها هل كان للفنان الدور الرئيس في إظهار تلك العادات الحسـنة المتمثلة في فعل الخير والصـدق والأمانة والايثار بالنفس والشجاعة التي تجلت في المنمنمات الإسلامية على الخط نفسه ظهور العادات غير الحسنة والسيئة في عرفنا الاجتماعي وعقيدتنا الاسـلامية، أم هي مجرد تصـويرات تمثل لا تمثل الواقع المعاش، بل هي من وحي القصص والخيال والاساطير المعروفة في تلك الحقبة؟ ام أن الفنان كان صادقاً ومحايداً في نقل تلك الافعال والعادات الاجتماعية بجدليتها الايجابية والسـلبية مثلما كان حريصـا في نقل الطراز المعماري والملابس التي كانت منتشرة في وقته؟

ثانيا: هدف البحث:

يهدف البحث الحالي تعرف تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي.

ثالثا: أهمية البحث والحاجة إليه:

١. تعنى هذه الدراسـة بالتركيز على أهمية المنمنمات الإسـلامية والافادة من توثيقها للأفعال والعادات الحسـنة والسـيئة في العقيدة الإسـلامية عن طريق جمع المفهومات العامة والتقاء الأفكار على أسـاس ملاحظة وفهم قصص التصوير الاسلامي.

٢. يتضـمن البحث الحالي قضـية مهمة لمعرفة العادات والتقاليد التي كانت سـائدة قبل مئات السـنين وأثر العقيدة الإسلامية في تلك العادات والطقوس إضافة للمظاهر الايجابية والسلبية في مجتمعاتهم.

٣. اما الحاجة للبحث فهي تكمن في أن هذا البحث لم يدرس سابقا بصورة دقيقة على حد علم الباحث لذا سوف يقوم الباحث قدر الامكان ملء هذا الفراغ المعرفي والانساني والاجتماعي.

رابعاً: حدود البحث

الحدود الموضوعية: دراسة المصورات الإسلامية التي تتمثل فيها العادات الحسنة والسيئة والموجودة في الكتب والمجلات وشبكة الانترنت ذات العلاقة.

الحدود الزمانية: الحقبة الزمنية الممتدة من (بداية القرن ٧ هـــ حتى القرن ١٠هـــ) بسبب ازدهار فن المنمنمات الإسلامية (التصوير الاسلامي) بهذه الحقبة.

الحدود المكانية: العراق، إيران، تركيا، الهند.

خامساً: تحديد المصطلحات وتعرفيها:

١- تمثل

آ- **في القران الكريم:** قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (سورة مريم جزء من الآية ١٧).

ب- **التمثل لغة:** "تمثَّلَ من يتمثّل، تمثُّلاً، فهو مُتمثِّل، والمفعول مُتمثَّل، تَمَثَّلَ بِهِ: تَشَبَّهَ بِهِ، اِتَّخَذَهُ مِثالاً تَمَثَّلَ الشيءَ: تصوَّر مِثالَهُ تمثَّل الشَّيءُ له: تصوّر له، تشخَّص له تَمَثَّلَ بين يديه: مَثَّلَ بالشيء: ضربه مثلاً تَمَثَّلَ منه: اقتصَّ تمثَّل الجسمُ الغذاءَ: أخذه وامتصّ ما فيه من نفع". (ابن منظور، ١٩٥٦، ص ٢٢٨)

ج – **التمثل اصطلاحاً:** "شِبْهه يشبه وشبهُه مشبه أي بمعنى الفرق بين التمثيل أو المُماثَلة والمُساواة أَن المُساواة قد تكون بين المتعاكسات في الجِنس والمتشابه والمتَّفقين، لأن التَّساوِي هو التعادل والتماثل التكافُؤ في القدر والمِقْدار لا يزيد ولا ينقُص منه، وأَما المُماثَلة فلا تكون إلا في المتناظرين والمتفقين، إذ تقول: نحوُه نحو كنحوِه وفقهُه فقه كفقهِه ولونُه لون كلونِه وطعمُه طعم كطعمِه". (صليبا، جميل، ٢٠٠٥، ص٣٩٠)

٢- الحسنة:

آ- **في القران الكريم:** ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٠١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً﴾ (سورة النساء الآية ٤٠).

ب- **حسنة لغة:** "جمع: حَسَنَاتٌ. (ح س ن). هَذِهِ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ: فِعْلٌ حَسَنٌ مِنْ أَفْعَالِهِ وَأَعْمَالِهِ الجَيِّدَةِ، عَكْسَ سَيِّئَة. فاعل مِنْ أَحْسَنَ رَجُلٌ مُحْسِنٌ: يَقُومُ بِأَعْمَالِ الخَيْرِ، التوبة". (ابن منظور، ١٩٥٦، ص ٤٧٩)

ج- **الحسنة اصطلاحاً:** الحسنة يعبر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله فلا يقتصر المعنى على الثواب فقط. (عبد المنعم، محمود،١٩٩٩،١٧٣).

الحسنة إجلائيا: وهي الأفعال المحمودة أي اخلاق القول والفعل وعادات الخير التي تمثلت في فكر الفنان المسلم وتجسدت في أعماله الفنية في التصوير الاسلامي.

١- السيئة:

آ- السيئة في القران الكريم: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. (سورة الشورى الآية ٤٠).

ب. سيئة في اللغة: "سَيِّئَة: (اسم) سَيِّئَة: فاعل من ساءَ سَيِّئَة: (اسم) والسَّيِّئة: الصغيرُ من الذنوب السَّيِّئة: الخطيئةُ سَاءَ، يَسُوءُ، مصدر سُوءٌ، سَوْءٌ، فهو سَيِّئٌ، وهي سَيِّئَة، وهو أسْوأ، وهي سَواءُ والجمع: سُوءٌ. ساءَ سوءًا، وسَوْءا، ومَساءةً مؤنَّث سَيِّئ: حالة سيِّئة " (الفيروز ابادي،١٩٨٢، ص٣٦٩).

ج. السيئة اصطلاحا: وهو كل فعل يتعارض مع القيم العادات الحسنة من الافعال والاقوال ومنها الكذب، والسرقة والاحتيال، والنميمة، والفتنة، والبهتان، والفحشاء، وعقوق الوالدين وغيرها. (الحنبلي، أبو عبد الله، ب.ت، ص ٢١٩٢) .

د. السيئة إجرائياً: وهي كل الأفعال غير حسنة التي سادت في زمن ظهور فن المنمنمات الإسلامية واستطاع الفنان المسلم من تجسيدها في منمنماته الفنية.

الفصل الثاني

الإطار النظري..... الدراسات السابقة..... المبحث الأول مفهوم العادات الحسنة والسيئة.

المحور الأول: الأفعال الحسنة والسيئة في الدين الاسلامي

تربى المسلمون الأولون على العادات والأخلاق الاسلامية، فكانت قلوبهم نظيفة وأيديهم طاهرة ووجوههم مشرقة بنور الايمان، فلما فتحت لهم البلاد وخضع لهم العباد لم يأخذهم الغرور ولم تلههم الدنيا عن الاخرة، لم يخرجوا عن طاعة الله، بل حفظوا الأمانة وأحسنوا القيادة وسهروا لمصلحة الرعية، وكانوا نجوما ساطعة في تاريخ البشرية. كل ذلك يرجع إلى أن القرآن كتاب الله يهدي إلى العادات ومكارم الأخلاق ويحث على كل فضيلة وخير وينهى عن الشر. قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾. (سورة النحل الآية ٩٠) واذا تأملنا في الآيات القرآنية المخاطبة إلى الإنسان والتي أيقظت ضميره وحركت شعوره واحساسه ونظرنا فيها من الأوصاف الحسنة والمحمودة؛ فإن القرآن يكتب للإنسان الطريق المستقيم في الحياة ويحفزه إلى السير فيه ويعمل لإبعاده عن الشر. (العبار، موزه احمد ٢٠٠٨، ص ١١٧)

يرى الباحث أن المكانة الانسانية العليا التي تتميز به العادات الحسنة هي ليست من الأمور المستجدة على الانسان، بل جاءت مع ظهور الدين الاسلامي، ولكن العادات السيئة كانت نتيجة تفسخ العلاقات الاجتماعية والانسانية، نسبة إلى التطور التكنلوجي والرقمي الذي شهده الإنسان في الحياة المعاصرة، أو نتيجة ما افرزته الحروب بين الشعوب والمدن والقبائل وبين أبناء القبلية نفسها، فضلاً عن العادات السيئة التي يقيمها الإنسان بحق نفسه والمقربين له، بل إننا نجد الاهتمام بالأفعال الحسنة ونبذ الافعال المنبوذة ولد مع بني آدم في أول صراع بين الحق والباطل عرفته البشرية وبعدها وثَّقته الحضارات الموغلة في القدم مثل حضارة وادي الرافدين، وحضارة وادي النيل، وحضارة اليونان.

وإذا أردنا التركيز على مفهوم القيم والعادات الحسنة والسيئة التي تمثلت في جانب مهم من جوانب الفن الاسلامي وهو فن التصوير المتمثل بالمنمنمات الإسلامية التي كانت المرآة العاكسة لكل هذه

العادات الحسنة والسيئة من خلال السرد القصصي فيها؛ لا بد أن نركز على أهم المؤشرات التي جاءت بالخطاب الديني الذي مثله القرآن الكريم وفضلاً عن الفكر الفلسفي الاسلامي. يقول الله تعالى في سورة فصلت: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت، الآية ٣٤). ان الآيات القرآنية مثلت الأفعال والقيم والعادات الحسنة والأخلاق الحسنة والتي تمهد للسلام والمحبة والامان بين الناس جميعاً من دون تفرقة بين عرق ودين ومن دون النظر إلى جنس أو لون، لأن كل البشر سواسية عند ربهم، فالتعامل بِمحبة وإحسان واحترام الجميع لا يأتي إلا من العادات الحسنة والتي دعا إليها الله ورسوله سواء أكان في القرآن ام في السنة النبوية التي جاء فيها أهمية الأخلاق الحسنة في الدين الإسلامي، فقد حرص رسولنا الكريم على الإشارة إلى كل هذه العادات والافعال الحسنة والتي تتمثل في مجموعة أحاديث الرسول الأعظم والتي توضح أن العادات الحسنة ماهي الا الأخلاق الحسنة التي تميز بها الدين، إذ قال الرسول محمد صل الله عليه واله وسلم: "ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق". وقوله صلى الله عليه واله وسلم: "إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار". وقال صلى الله عليه واله وسلم: "حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار" (العبار، موزه احمد ٢٠٠٨، ص١١٨-١١٩).

المبحث الأول... المحور الثاني: العادات الحسنة في الفكر الفلسفي الاسلامي.

بدءاً لا بد للباحث من الإشارة إلى دور الفلسفة اليونانية المؤثرة على الفكر الفلسفي الاسلامي ولا سيمّا طروحات (أفلاطون) و(أرسطو).

أفلاطون والحسن والأخير الأسمى:

قسم الفيلسوف (أفلاطون) العادات الحسنة إلى ثلاثة إتجاهات رئيسة: فالأول يسعى إلى البحث في الخير الأسمى. أما الثاني فيذهب إلى تحقيق الخير الأسمى بكل اجزائه ممهد الطريق إلى الفضائل العادات الحسنة، اما الاخير فوظيفته تحقيق الخير في الدولة ومؤسساتها. إذ يرى (أفلاطون) أن العادات الحسنة تمنح السعادة، فالخير هو الطريق إلى السعادة، بل هو السعادة، لأنه يعد فائدة ونفع للإنسان كما جاء من قبل في آراء استاذه (سقراط)، إذ يرجع السعادة إلى عمل الخير وكل الاشياء التي تتحقق النفع للإنسان، وكلما ابتعدت النفس البشرية عن الجسم والعادات السيئة التي تشوه النفس الإنسانية؛ تحققت السعادة الروحية التي لا يشعر بها إلا من صفا قلبه ونفسه. (بدوي، عبد الرحمن،١٩٨٣، ص٢٠٤).

الأخلاق والعادات الحسنة لدى أرسطو:

مثل أستاذه (أفلاطون) أكد (أرسطو) ان العادات الحسنة هي الأخلاق الحسنة بصفة عامة، والغاية منها جلب النظام الذي يضمن الحياة الكريمة والسلام، وقد جاءت اغلب طروحاته الواقعية متقاربة مع فلسفة الفكر الإسلامي، فهو (المعلم الأول) وأبرز فلاسفة الحضارة اليونانية وضوحا في تبيان الغاية من الاخلاق، ولا تقتصر هذه الميزة على هذا المجال فحسب؛ بل نجدها في كل إبداعاته الفلسفية الأخرى، ولعل هذا هو السبب الرئيس الذي جعل فكره يحظى باهتمام كثير من المفكرين والفلاسفة من بعده، ومن

مختلف الحضارات، بل ان تأثيره امتد إلى فلاسفة الإسلام ومن بينهم (ابن رشد) الملقب بـــ(الشارح). كما يؤكد (أرسطو) في "أن العادات الحسنة وتحصيل السعادة كلها الفاظ متعددة تدل على معنى واحد فحسب" (ت. ج، دي بور، ب. ت، ص٢٩٤).

وهنا يرى الباحث أن الفلسفة اليونانية تركز على فكرة السعادة، وكون المحصلة من العادات السيئة والتعاسة والحزن تكون نتيجة الأفعال العادات السيئة، وهذا ما انعكس لاحقا على الفلسفة الإسلامية كون الفلسفة اليونانية من أهم المرجعيات الفلسفية التي اعتمدها الفكر الفلسفي الاسلامي.

ثانيا: القيم الأخلاقية في الفكر الإسلامي:

اهتمت الفلسفة الإسلامية بجانبين مهمين: الأول الشريعة الإسلامية والجانب الثاني الفلسفة اليونانية، إذ أكدت على أن العادات الحسنة هي قيم ومبادئ منظمة للسلوك والعمل الإنساني يتم سنها مسبقا لتقوم بتنظيم مسيرة الإنسان في الحياة. ويمكن أن نختم كلامنا هذا بأن الدين بأصليه العظيمين– القران والسنة– كانا سندا قوياً واساساً متيناً يستقى منه الفكر الإسلامي كل أصالة أخلاقية. إذن وبعد أن تعرفنا على الأخلاق في القرآن والسنة نحاول التعرف عليها عند بعض الفلاسفة المسلمين.

أبو نصر الفأرابي والأفعال الفاضلة:

اهتم (ابو نصر الفارابي) بالمثير والمهم من أفكار فلاسفة اليونان وخاصة فلسفة (افلاطون) و(ارسطو) وحاول الجمع والتوفيق بينهما في الأخلاق والسياسة والمنطق والطبيعيات، إذ سار (الفارابي) على نهجهم في اعتبار الأخلاق والعادات الحسنة فرعاً من فروع السياسة، فالأفعال الحسنة تعني (دراسة السلوك الفردي المؤدي إلى اكتساب الفاضل وتحصيل السعادة لكل فرد من افرد المجتمع، بينما تعنى السياسة بدراسة كيفية تحصيل السعادة للجميع بأسره، فغاية الأخلاق والسياسة إذن واحدة) للأخلاق في نظر الفأرابي شأن كبير يشبه دور علم المنطق.

فيقول في ذلك: "إن العادات الحسنة والفضائل الأخلاقية: هي التي بها يتوخى بها الإنسان فعل الخير، وتوخي افعالها متوقف على استعمال غيرها من الفضائل، فكل فضيلة خلقية لا بد لها من فضيلة فكرية سابقة لها توجهها، وكلما اكتملت الفضائل الفكرية كانت الفضائل الخلقية مرتبطة بها أشد وأقوى". (بدوي، عبد الرحمن، ١٩٩٤، ص ٤٥٥).

الأفعال الحسنة لدى ابن سينا:

أخذ (ابن سينا) كثير من آراء الفلاسفة ممن سبقوه في آرائهم الفكرية العادات الحسنة والاخلاق الحسنة والفضائل وتعميمها العادات السيئة (الرذائل) ومدى القضاء عليها بالنصح والتوعية والارشاد، إذ توقع ان منهج الكمال الذي يقود الفرد إلى السعادة في الدنيا والاخرة تكمن في تجنب الإنسان كل ما هو مذموم من افعال، فيقول ابن سينا: "المعتني بأمر نفسه، المحب لمعرفة الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكو بها نفسه ومعرفة الرذائل وكيفية توقيعها لتتطهر عنها نفسه، المؤثر لها ان تسير بأفضل السير فيكون قد وفى انسانيته حقها من الكمال المستعد به للسعادة الدنيوية والاخروية، وتكميل قوته العلمية بالفضائل التي

أصولها العفة والشجاعة، والحكمة، والعدالة المنسوبة كل فضيلة منها إلى قوة من قواه، وتجنب الرذائل التي بإزائها تشوه النفس الانسانية وبالتركيز على العلم نصل إلى السعادة". (ابن سينا، ١٩٨٦، ص ١١٥).

التصوف والعادات الحسنة لدى أبي حامد الغزالي:

اهتم (أبو حامد الغزالي) بالعادات الحسنة والقيم الاخلاقية ومفهومها متأثراً بالأخلاق والنشأة التي نشأ بها (الغزالي) ولا سيما أنه كتب معظم كتبه بعد مرضه، واضطراره مفارقة العراق ثم عودته إلى الحجاز حاجاً ثم في نهاية المطاف استقر به المقام في طوس حيث لازم بيته هناك إلى ان توفي، وفي هذه العزلة كتب ما كتب في الأخلاق وتأثرت كتاباته الأخلاقية، اذ تميزت كتاباته بعدة امور مهمة منها ما ورثه عن ابيه من نزعته الصوفية، والعزلة لمدة عشر سنوات، لها ما لها من الآثر في تكوين نفسه وتكييف مزاجه، والتأثير في كتبه". (مبارك، زكي، ١٩٨٠، ص ٤٧).

يرى الباحث أن (أبا حامد الغزالي) انطلق في تعريف العادات الحسنة والأخلاق الحسنة وكيف يصل إلى صفاء النفس الإنسانية من مبدأ التخلي عن كل ما هو مذموم والتحلي بكل ما هو حسن، ومن ثم يسهل عليه التجلي والظهور وهو منتهى السعادة التي يبتغيها الإنسان. إذ يرى أن التصوف هو "الخلق مع الخلق والصدق مع الحق" وقيل: "إن من أوتي الخلق فقد أوتي أعظم المراتب والمقامات".

المبحث الثاني: مقاربات الحسن والسيئ بمدارس التصوير الاسلامي.

أولا: مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي:

إن المدرسة العراقية أساس المدرسة العربية في التصوير الإسلامي إضافة إلى مراكز أخرى ظهر فيها فيما بعد في مصر وبلاد الشام والأندلس، وقد نسبت إلى هذه المدرسة مجموعة من المخطوطات العربية التي تناولت الموضوعات الطبيعة والطبية والعلوم مثل علم الحيوان والأدبيات، وكان أغلب التنفيذ من قبل فنانين من المسيحين الذي اهتموا في القيم الأخلاقية في هالات النور المدورة التي كانت تستعمل حول الرؤوس والأشخاص في بعض المصورات، كما بروز الطابع العربي المتميز بوجوه الأشخاص، إذ تبدو عليهم مسحة عربية وتغطي وجوههم لحى سوداء وأنف أقنى. (هادي، بلقيس محسن،١٩٩٠، ص١٣٦-١٣٧) وتميزت مصوراتها بالواقعية والمبالغة في زركشة الملابس بالأزهار والطريقة الاصطلاحية في رسم الأشجار، وهناك رسوم جاءت لتحاكي الطبيعة وأسلوب الشفافية في رسم العمائر، حيث يظهر المصور ما يدور داخل الحجر من خلال حذف الرسام الجزء الأمامي للحجر، كما في الشكلين (١) و(٢). وقد مال الرسام إلى التسطيح وعدم التجسيم في الصورة كذلك لم يراع المنظور، فكانت ترسم بمنظور من الأعلى والجمع بين المشهدين في صورة واحدة، وكذلك اظهار الشخص المهم أكبر حجما من الذين يحيطون به، واستعمال العيون في التعبير والاصابع في الإشارات، وقد وفق في رسم الحيوان ولا سيما الإبل والخيل وأبدعت في رسم حجومها.

وقد نجح الواسطي في أن يكون واقعيا في تصويره، وأن يضفي الحياة على تصوراته ويحيلها إلى مرجع حافل بالحياة اليومية في عصره الواقع، وأن تصاويره أقرب في أسلوبها إلى اللوحات الكبيرة منها

إلى المنمنمات، ويكاد مؤرخو فن التصوير الإسلامي يجمعون على أن اسلوب (الوسطي) هو اكمل مثال لمدرسة بغداد التصويرية؛ فقد أجاد التعبير بريشته عن كل الحالات النفسية، واستطاع التميز بين مختلف الشخصيات. كما في الشكلين (٣) و(٤). (ديماند، م. س، ١٩٨٢، ص ٤٢-٤٣).

ثانياً: المدرسة الفارسية للتصوير الإسلامي:

اخذت المدرسة الفارسية للتصوير الإسلامي كثير من المعالجات الفنية من المدرسة العراقية الإسلامية للتصوير، اذ تناصت مع كثير من المنمنمات التي نفذها رائد المدرسة الفارسية المصور الإيراني (كمال الدين بهزاد) والذي انفرد فيما بعد بدقة الأداء والعناية برسوم الأشخاص والواقعية المتجلية في الأعمال والحركات، والتي بدت تصاويره كأنها لوحات فسيفساء تتناسق مكوناته الفنية وتمتاز منمنمات (بهزاد) بخيال واسع وحرية أكثر من منمنمات (الواسطي)، فقد كانت تصاويره الفنية قريبة لرسم كل جماعة في طابع يعبر عن وجدان الفنان. وتبدو موهبته في رسم الأشخاص حال تأملنا وجوههم ومقدرة على رسم العمائر والمناظر الطبيعية ولا سيما الأشجار المثمرة. وتميزت اعماله بإبداع التراكيب منها ودقة الزخرفة وانسجامها مما يشهد بأن بهزاد كان مصورا رائعا، كما في الشكلين (٥) و(٦). وهكذا أصبحت اللوحة تحتوي على عناصر واقعية وعلى عناصر متخيلة وعلى عملية دمج وتآلف بينهما وازدادت قدرة الفنان على التعبير وتحسن أداؤه لرسوم الأشخاص والأشكال والنباتات. (حسني، ايناس ٢٠٠٩، ص ٧٦)، وقدم الفنانون ما هو جديد في مجال التعبير الفني العربي سواء من حيث الموضوعات أم الأشكال، لكن الهدف ظل واحدا وهو خلق لوحة لها طابعها العربي الاسلامي، ومن أهم المخطوطات التي نمنمت في تبريز في هذه المرحلة كتاب (الشاهنامة الفردوسي) وذلك في الأعوام (١٣٣٠- ١٣٣٦ م). وكانت الألوان في التصوير الفارسي أشبه بالأنغام في الموسيقى، إذ التوافق الهارموني، ومع أن التصوير الفارسي لم يكن مكرساً لخدمة الدين كما ظهر في منمنمات الواسطي التي صورت العادات والشعائر والطقوس الدينية في العراق، إلا أنه هز المشاعر الروحية بالإشارات القدسية، وعرض المواعظ العادات الحسنة والعبر التي شاعت في المصادر الصوفية ونبذ كل العادات السيئة التي نهى عنها الدين الإسلامي ولكن ليس بمستوى النهي عن كل ما هو سيء في المدرسة العراقية. (محمد، سعاد ماهر، ٢٠٠٥، ص ٣٩٣).

ثالثاً: التصوير في المدرسة التركية:

مثل ما استفادت المدرسة الفارسية من المدرسة العراقية؛ فقد قامت المدرسة التركية على اكتاف الفنانين الايرانيين الذين كان يستقدمهم السلاطين الأتراك، ومنهم المصور (شاه قولي) الذين عمل في بلاط (سليمان القانوني)، ومنهم أيضا (ولي جان التبريزي) الذي عمل في البلاط العثماني عام (١٥٧٨)، واستخدم الأتراك الفنانين الاوروبيين، إذ استعمل السلطان (محمد الثاني ١٤٨٠ م) المصور الايطالي (جينتلي بلليني) الذي رسم صورة للسلطان موجودة الآن بالمتحف الوطني بلندن وتمتاز المدرسة التركية باستعمال ألوان الذهب والفضة بكثرة ويظهر في الصور الملابس والعمائر التركية. (الالفي، أبو صالح،١٩٨٨، ص ٢٤٦-٢٤٧). كما نلاحظ مخطوطة (سليمان نامة) في ظهور التأثير التركي بشكل

الملابس التركية المختلفة في العصور الأولى، وقد امتازت رسوم هذه المدرسة بالتركيز على ألوان محددة منها الأصفر والأخضر على الأغلب، كما ازدهرت هذه المدرسة وعرفت بغزارة الإنتاج نتيجة كثرة القصور للسلاطين العثمانيين الذين شجعوا على هذا النوع من التصوير الاسلامي الذي يبرز به الطابع الاسلامي والمخطوطات النادرة في كتاباتها وزخرفتها وتجليدها وتذهيبها، كما في الشـــكلين (٧) و(٨). وحرص المصور العثماني على إظهار الابعاد الثلاثية للرسوم الآدمية عن طريق الظل والملابس، وامتازت الرسوم الشخصية بأنها لم تكن قاصرة على أهل البيت والسلاطين وكبار القوم، بل امتدت لتشمل عامة الناس مثل الراقصات والمغنيات. (محمد، سعاد ماهر،٢٠٠٥، ص٢٤٨).

المؤشرات التي انتهى إليها الإطار النظري:

١. إن العادات الحسنة مثل الخير والصدق والأمانة وبر الوالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تخضـــع للقياس المادي، وانما تعني التربية الروحية، والتوجه بكل عمل صـــالح إلى الله مســتمدين منه السعادة والخير والصحة والخلق الطيب والسماحة، والحفاظ على القيم الإنسانية.

٢. العادات الحسنة في نظر (أفلاطون) هي العمل الحق على أن يكون صادرا عن معرفة صحيحة بقيمة الحق، هذا هي الفضيلة الفلسفية التي تقوم على الروية والتفكير، وعلى فهم المبدأ الذي ينبثق عنه السلوك كما تصور (سقراط) من قبله أن العادات الحسنة هي كل ما يصدر عن النفس الإنسانية من خير يصل بالفرد إلى السعادة والنفعية في الوقت نفسه.

٣. حث الدين الإســلامي على مكارم الأخلاق ودعا الناس إلى الفضــيلة والخير والإحســان ونبذ كل فعل مذموم مثل عقوق الوالدين والســـرقة والكذب والاحتيال والبهتان والنميمة والنفاق والدجل، بل أن ألاديان السماوية كلها كانت دعوة هادفة إلى تحرير الإنسـان من العقائد السـابقة وارشـاده إلى الفضـائل. فالخلق الكريم والاستقامة والفضيلة أساس من اسس السعادة وهدف من أهداف الرسالات السماوية العادات السيئة تصل بالفرد إلى الهلاك في الدنيا والاخرة.

٤. زخرت الأحاديث النبوية بطرق ســليمة قادت النفوس البشــرية إلى ترك الهوى ونبذ كل ما هو ســيء وسلوك الطريق المستقيم العادات الحسنة كقول الرسول محمد (ص): "من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة".

٥. ارتبطت الأخلاق عند الفارابي بمسـألة النفس ارتباطا مباشـرا، فكل ما يتعلق بالفعل الحسـن والاخلاق والفضيلة طريقاً للسعادة، واللذة السيئة والفحشاء والرذيلة طريقا للشر والهلاك، فيجب على الإنسان حسن الظن بربه. ولا بد لمن يســتخلف على العباد من أن ينهى عن الرذائل كالظلم والتجديف، والخســاســة، والجهل، وقلة الدين، وحب الفساد.

٦. يرى الغزالي أن العادات الحســنة هي من الخلق وأنها راســخة في النفس تصــدر عنها الأفعال الخيرة بسـهولة ويسـر من غير تكلف وحاجة إلى فكر وتأمل، فهو روحي وفطري تارةً ومكتسـب يمكن تربيته تارة أخرى، بمعنى ان الخلق له وسائله وأساليبه.

٧. إن فن المنمنمات (المصورات) صور تسجيلية للحياة والعادات الحسنة، والسيئة، والبيئة، والعادات والمعتقدات والطقوس، والأحداث التاريخية، والعمارة، والزي، والفنون، فضلاً عن قيمتها الدينية المحملة بالقيم الاخلاقية والفنية والمعرفية والجمالية المتطورة عبر التاريخ.

٨. تعد المدرسة العراقية أساس المدرسة العربية في التصوير الاسلامي التي أثرت في مراكز أخرى ومختلفة في العالم الاسلامي، التي اهتم الناس في ذلك العصر لما امتازت به من تصوير دقيق للحياة الاجتماعية وبث للعادات الحسنة والقيم الاخلاقية، بما فيها من مفارقات ونوادر وطرائف، ووجد فيها الفنانون مادة موحية للتعبير الروحي والمعرفي والجمالي والأخلاقي المتمثل في الدين الاسلامي وعن قضايا عصرهم وطقوسه الدينية ولم يغفل عن العادات السيئة مثل الاحتيال.

٩. ازدهر فن التصوير في إيران وكان ميدانها في البداية توضيح كتب التاريخ ودواوين الشعر. والقصص بالصور الصغيرة ذات الالوان الزاهية والجميلة، والتي يظهر فيها الأسلوب الشعبي الواقعي ودور التربية في تهذيب الناس وزرع القيم الإسلامية واهتم في اظهار النساء اللاتي يقمن بأعمالهن المنزلية في الخيام وهو الذي ارادته العقيدة الإسلامية ولكنه أيضا سجل العديد من العادات السيئة كالقتل وارتكاب الفحشاء.

١٠. اعتمدت مدرسة التصوير العثمانية بعد استقرار السلاطين الأتراك في عاصمتهم الجديدة القسطنطينية على المصورين الأوائل الذين قدموا للعمل في للقسطنطينية، فقد شغف السلاطين العثمانيين كل الشغف بالمشاهد التي تصور القيم الروحية والأخلاقية والجمالية وحياة الترف لدى السلاطين.

الدراسات السابقة: من خلال أطلاع الباحث وعلى حد علمه لم يجد دراسة تخص تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي وهو هدف البحث ولكن هناك دراسات كثيرة في ما يخص التصوير الاسلامي ولا يمكن حصرها.

الفصل الثالث: إجراءات البحث:

اولا: اطار مجتمع البحث:

عند إطلاع الباحث على ما منشور ومتيسر من المنمنمات، التي انجزت خلال الحقبة الزمنية الممتدة من بداية القرن ٧ للهجرة حتى القرن ١٠ للهجرة، وقد جمع الباحث (٣٦) منمنمة من المصادر العربية والفارسية والعثمانية (من كتب ومجلات متخصصة) وكذلك من شبكة الانترنيت، والافادة منها بما يغطي هدف البحث الحالي.

ثانيا: عينة البحث

قام الباحث باختيار عينة البحث، البالغ عددها (٣) منمنمة فنية، لكل مدرسة منمنمة واحدة بصورة قصدية ومن ثم ترتيبها وفقا لزمن ظهورها وهي مدرسة بغداد ومن ثم المدرسة الفارسية والمدرسة العثمانية.

ثالثا: طريقة البحث

اعتمد الباحث المنهج الوصفي (تحليل المحتوى) مع الافادة من القراءة التأويلية في تحليل عينة مع البحث، اضافة على ما توصل اليه الباحث في المؤشرات التي انتهى اليها الإطار النظري تماشياً مع هدف البحث.

رابعا: أداة البحث

من أجل تحقيق هدف البحث: تعرف على تمثل العادات الحسنة والسيئة في التصوير الاسلامي. اعتمد الباحث على المؤشرات التي انتهى اليها ضمن سياق الإطار النظري.

خامسا: تحليل العينة

انموذج العينة رقم (١).

اسم العمل: المقامة السابعة/ البرقعيدية.

المصدر: الورقة التاسعة عشر مخطوطة مقامات الحريري (مكتبة الوطنية – باريس – رقم Arab 5847)

اسم المؤلف: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري.

اسم الفنان والخطاط: يحيي بن محمود الواسطي

مساحة العمل: الصفحة ٢٧٣ملم × ٢٨٠ملم

تاريخ الانتاج: ١٢٣٧م

مكان الانتاج: بلاد ما بين النهرين.

الخامة: الوان مائية معتمة على ورق.

الوصف العام:

مشهد التصويرة يظهر فيه عدد من الفرسان يمتطون أحصنة وبغالاً، وقد أمسك بعضهم بالمزامير والبيارق والطبول رصفت البيارق بشكل عمودي ولها نتوءات من اطرافها على شكل مستطيلات وكتب داخل هذه الرايات كتابة باللغة العربية وبالخط الكوفي، وبشكل اعمدة تتابعية بطريقة الأشرطة الهندسية (الطريقة السومرية في الكتابة)، وقد تقاربت أرجل الخيول مع بعضها بعض وهي واقفة وبحركات مختلفة على أرضية من العشب والنباتات الصغيرة، حدد الواسطي العمل من الأعلى بثلاثة أسطر من الكتابة العربية وبخط النسخ.

التحليل:

المنمنمة تصور فرسان يستعدون لاستقبال واحد من أكبر الأعياد الإسلامية وهو عيد الفطر المبارك، فهذه المنمنمة تمثل قيمة الخير والاخلاق، فمن العادات الحسنة هو الاحتفال بيوم العيد، وهو من أهم اعياد المسلمين بعد صيامهم لشهر رمضان فعيد الفطر السعيد، إذ يفرح المسلمون في صبيحة العيد بأنهم أتموا عبادة الشهر الكريم، من صيام، وصلاة، وصدقات على أكمل وجه، وبما يرضي الله تعالى.

وهذه العادات الحسنة مثلها الفنان المسلم أفضل تمثيل لتحاكي الأجيال اللاحقة عن اهتمام المسلمين بذلك الوقت بالصيام والعيد، فهذه التصويرة زودتنا بصورة حية وواقعية عن العادات في القرون الماضية في العصر الاسلامي.

تفادى (الواسطي) الرتابة الناجمة عن التكرار، فالبيارق والأبواق تبرز في أعلى وفي إتجاهات مختلفة، وهكذا تؤلف مضادة للخطوط الأفقية ورسوم الحيوانات والراكبين وقد جلس الطبال في مكان أعلى من كل الآخرين وبذلك يخرج عن استقامة خط الوجوه، في حين يشكل البغل بأذنيه الطويلتين مفارقة لطيفة بالنسبة إلى الخيول، فالمشهد من الناحية الأساس مستقر لأنه غني بالألوان والحركة الكامنة. ويغلب على المنمنمة عبارات من الخط العربي في أعلى المنمنمة، ولقد وفق (الواسطي) في رسم الجموع واتقان رسوم الخيول التي تتشابه إلى حد كبير مع رسوم الخيل في صور مخطوط كتاب البيطرة، هذا فضلاً عن دقة الملاحظة في رسم الاعلام والتنويع بينهما من حيث الأحجام والعبارات المسجلة عليها كعبارة التوحيد وعدم الشرك بالله (لا إله إلا الله)، وبعضها سجلت عليها آيات من سورة الاخلاص (قل هو الله احد الله الصمد)، فالتوحيد سمة اخلاقية وسمة حسنة من سمات الدين الاسلامي بعد ما كان العالم يغرق في تعدد الالهة والجهل والظلام العادات السيئة والفحشاء وغيرها. ضمن المنمنمة ككل من خلال تكرار بعض العبارات (لا إله إلا الله) وهي تمثل قيمة عليا أخلاقية عظيمة عند المسلمين، وهنا نجح الواسطي في إظهار القيم والعادات الحسنة للدين الاسلامي ومبادئه، وأظهر السعادة والصفاء الروحي للنفس البشرية الغاية التي أكد عليها أغلب فلاسفة المسلمين وقبلهم اليونان، فقد تمثلت السعادة عند الجموع في هذه التصويرة بعد اتمام المسلمين صيام شهر الطاعة والمغفرة.

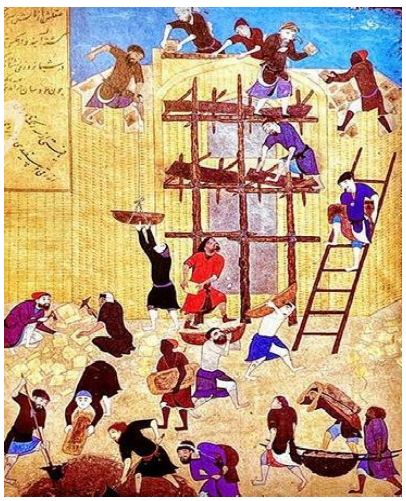

انموذج العينة رقم (٢).

اسم العمل: بناء مسجد

المدرسة: الفارسية للتصوير الاسلامي

اسم المؤلف: الشاعر الفارسي أبو القاسم الفردوسي

اسم الفنان والخطاط: كمال الدين بهزاد

مكان العمل: متحف الفنون الجميلة في بوسطن.

القياس: ٤٧٠ملم × ٦٠٠ملم.

الخامة: ألوان مائية معتمة على ورق.

الوصف العام:

تتألف التصويرة من ستة عشر شخصاً يتخذون اوضاعاً مختلفة بالسطح التصويري كلا بحسب عمله، يحتوي العمل على العديد من الأشخاص بوضعيات مختلفة كلا بحسب عمله وشبه مبعثرة، منهم من يقص الخشب، ومنهم من يصمم ويتحاور، ومصعد من الخشب يحملون مواد البناء عليه.

التحليل:

لدور العبادة وللمساجد مكانة عظيمة عند المسلمين، وهي تقترن بركن عظيم في الاسلام، وهو الصلاة العلاقة بين الرب والعبد، فلا إسلام من غير صلاة، ولا شك أن من يقيم الصلاة لا بد أن يعظم الأفعال والعادات الحسنة ويترك العادات السيئة كون الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر، الفنان هنا أيضا نجح في ايصال فكرة العبادة والاهتمام ببناء المسجد. والهمة العالية عند الأشخاص ماهي الا العادات الحسنة، فهناك فضل عظيم لبناء المساجد وتشييدها ورعايتها والحافظ عليها. وان بناء المساجد هي قيمة اخلاقية حسنة وعظيمة، وهناك عدة نصوص تحدثت حول فضل بناء المساجد ورعايتها والاهتمام بها، سواء من القران الكريم ام من السنة النبوية، فقد قال سبحانه مبينا فضل بناء المساجد وعمارتها: ﴿انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاء ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهدين﴾ (سورة التوبة الآية ١٨)، كما نلاحظ أيضا في المنمنمة تعاون الشخصيات فيما بينهم لبناء المسجد، والتعاون هو التآزر بين البشر، والتكاتف لتحقيق غاية انسانية نبيلة، وهذا مقام حسن وليس سيئ فالسيئ هو التفرقة، البغضاء، الحقد، والنفاق، وعدم الالفة والمودة، فكل هذه الخصائل والسمات نهى عنها الدين الاسلامي، بل اغلب الاديان نهت عنها، فالدين اساسه التراحم بين الناس، واصل بقائهم وتعايشهم واستقرارهم، وهو خلق جميل، وقد حث ديننا الحنيف على التعاون الحسن في أكثر من موضع كقول تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾ (سورة المائدة الآية ٢) فالتعاون هو قيمة سامية عليا اخلاقية وفعل حسن ونبيل يحث عليها ديننا الحنيف، إذ تكمل القوة في تعاون الأفراد فيما بينهم، وتكاتفهم. وقد نجح بهزاد في التصميم واستعمال الالوان ومعالجتها ومقاربة النزعة الطبيعية من عمل البناء وحافظ على الخطوط الهندسية، وتطبيقها كزخارف تكميلية لعناصر التشكيل الداخلي لعمله كي يحكم عملية التكوين، واتسم العمل بمغزى شبه بالقصة كحدث اجتماعي عام، أتسم العمل بمجملة بمسة ارستقراطية في اللون ونظراته وجماليته في توزيعه ومزجه، وقد كرر الوانه الزاهية، اضاف في عمله الرجل ذا البشرة السمراء، وهي اضافة جديدة في عملة الفني.

انموذج العينة رقم (٣).

اسم العمل: ابراهيم يضحي بأب.

المدرسة: العثمانية للتصوير الاسلامي.

اسم الفنان والخطاط: محمد بن سليمان فضلي.

مكان العمل: المكتبة البريطانية، لندن.

القياس: ٣٦٠ملم × ٥١٠ملم.

الخامة: احبار على ورق.

سنة الانجاز: ١٥٩٤ م.

الوصف العام:

تمثل المنمنمة العثمانية هذه حدث ديني مهم ومعروف لكل الاديان السـماوية جمع ما بين الواقع والمثال الالهي، وهو تضحية النبي ابراهيم عليه السلام بولده اسماعيل عليه السلام، صور الفنان الحدث من خلال استلهام الخطاب الديني المقدس بفضاء يتألف من الاشجار والنباتات في الوسط رجل واقف يغطي رأسه بعمامة بيضاء محطة بشعلة من النار يمثل (ابراهيم) عليه السلام وهو يمسك صبيا جالسا مقيد الايدي ومعصوم العينين، يمثل (اسماعيل) عليه السلام، هذه الهالة من النار تمثل القدسية والتميز للأنبياء والرسل والملائكة، ويظهر من جهة يسار التصويرة الملك جبرائيل عليه السلام بأجنحة كبيرة.

التحليل:

لا شك ان الفنان المسلم برع في تصوير قصة التضحية والفداء وبر الوالدين والطاعة العمياء لهم من جانب سيدنا اسماعيل عليه السلام، والحب الالهي من قبل سيدنا ابراهيم عليه السلام إلى ربه وتنفيذ الرؤية التي شاهدها، امتثالا لأمر الله عز وجل، ومن ثم العطف الالهي والرحمة الالهية النازلة من السماء والمبلغة بالملائكة والفداء بالكبش. المشهد يثير المشاعر ويحرك الاحساس، ليجسد بذلك موقفاً عظيماً فتح له مجالات خياله الواسع بتصوير اللامرئي الديني (الملائكة) وهي تنزل من السماء بأمر (الله) عز وجل، ومدى طاعة الانبياء لأمر (الله) عز وجل. من جهة اخرى استطاع المصور تحقيق عنصر جذب انتباه المشاهد الشخصية البطلين في المشهد النبي ابراهيم وولدة اسماعيل (عليهما السلام)، واعطاءهما الاهمية في الحدث الديني من خلال احاطة رأسيهما بشعلة من النار واحتلالهما المركزية في المشهد فضلا عن اغلاق الفضاء حولهما من خلال حركة الملك من والمتجهة نحوهما ليطلق بذلك حبكة وحالة من الصراع النفسي للشخصيتين وصل إلى ذروته، ضمن ترتيب وتعاقب للأحداث بدأ من تأهب النبي (ابراهيم عليه السلام لذبح ولده اسماعيل عليه السلام)، ثم إلى انبعاث المعجزة الالهية المخلصة بنزول الملائكة ومعهم الفداء، يتضمن ذلك حوار دراميا تشكيلها بين الشخصيات الواقعية والمتخيلة ضمن حالة من التشويق والترقب الذي زاد فكرة الحدث المحتفظة بوحدة موضوعها المتماسك شكلا ومضمونا. العمل الفني ظهرت به العديد من العادات الحسنة ولم تظهر فيها افعال مذمومة سوى عملية الهم بالذبح ولكن هذه بحكمة الهية ارسلت للملتقي قيما حسنة كالفداء، وبر الوالدين وعدم معصيتهم، والشجاعة، والامتثال للأمر الالهي، ومن ثم الرحمة الالهية التي وسعت كل شيء من خلال الفداء بالكبش.

الفصل الرابع

النتائج ومناقشتها والاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

كشفت هذه الدراسة عن جملة من النتائج توصل لها الباحث، استنادا إلى ما جاء به الإطار النظري، علاوة على ما تقدم من تحليل عينة البحث، وتحقيقا لهدف البحث، وهي تعرض على الوجه الاتي:

١. برزت العادات الحسنة من خلال المجاهدة والرياضة الروحية للنفس البشرية المتمثلة بالصيام والصلام ومن ثم تفرز منابع السعادة والاحتفال وهو ما ظهر في أنموذج (١) من عينة البحث.

٢. ظهرت القيمة الاخلاقية التقوى وهي من أهم واعظم القيم التي يجب ان يتحلى بها الإنسان المسلم،

ويشـــير خلق التقوى إلى الخوف من الله تعالى باجتناب ما نهى عنه واتباع ما امر به والامتثال إلى امره، وتظهر هذه القيمة في مجمل عينة البحث.

٣. افرزت بنية المشهد التصويري في نتاجات التصوير الاسلامي موضوعات واقعية واستثمر المصور الاســـلامي الدلالات التعبيرية للترغيب في مشـــاهد الاحتفالات الدينية والمناســـبات الروحية عند المسلمين، كما في النموذجين (١) و(٢) من عينة البحث.

٤. تمثيل الصلاة قوة العادات الحسنة واخلاقية عظيمة، وفي هذه القوة مدد، أي ممد لضمير المؤمن، يقويه على فعل الخير وترك الشر، ومجانبة الفحشاء والمنكر، ومقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير، فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى ورعاية حدوده، وتظهر هذه القيمة في الانموذج (٢) من عينة البحث.

٥. حاول المصور الاسلامي الترغيب في فضل بناء المسجد وهو أكثر الاماكن التي تحقق الراحة النفسية والصفاء الروحي، إذ الهدوء والسكينة والرحمة، العادات الحسنة التي تحقق السعادة، كما أنموذج (٢) من عينة البحث.

٦. تجلت العادات الحسنة والقيمة الاخلاقية التعاون وهي من السمات الخيرة التي يتحلى بها الانسان، فبه يصبح المجتمع نسيجا واحدا متكافلا ومرتبطا كما تمثل في مجمل عينة البحث.

٧. اظهر الفنان المســلم حالة الترغيب بالجنة وحســن العاقبة من خلال كل العادات الحســنة التي يظهر فيها الامتثال إلى الخطاب الديني المقدس بهدف نيل الســعادة والجنة وخوفاً من النار والهلاك كما في مجمل عينة البحث.

٨. ظهرت العادات الحسنة بالقيمة الاخلاقية لطاعة الوالدين وقد جعل الله بر الوالدين وطاعتهم من افضل الاعمال بعد توحيد الله ســبحانه وتعالى، ويظهر العكس في العصــيان الذي واجهه ســيدنا نوح عليه السلام فكان فعلا مذموماً.

٩. العادات الحسنة والقيم الاخلاقية مثل الصبر وهي خصلة من ابرز وارقى الخصال الكريمة وصفة من الصفات النبيلة التي تدل على قوة الايمان وصدق اليقين، وتظهر هذه القيمة في النموذجين (٢ و٣) من عينة البحث.

١٠. افرزت المشــهد عن القيمة الاخلاقية القدوة الحســنه وهو من يحتذى بفعله ويكون اســوة حســنة ومثلا لسلوك الآخرين كما في نماذج العينة.

الاستنتاجات:

١. تحفل نتاجات التصــوير الاسـلامي برؤية جمالية خاصــة، تميزها من غيرها من النتاجات، لما تكتسـبه من طابع اشــتغالي يعتمد على خصــائص الفن الاســلامي، ويأخذ بنظر الاعتبار الإطار الفلســفي والعقائدي للدين الاســـلامي وأثره على المنجز الفني، وهذا بكونه فن ديني تأثر بالعقيدة وبأوامر الدين ونواهيه، إذ التزم الفنان المسلم بما جاء بالكتاب والسنة.

٢. يعتمد الفن الاســلامي على مبدأ التوحيد، وهو العامل المشــترك بين جميع الفنانين المســلمين وجميع الاشكال الفنية في مناطق العالم الاسلامي كافة. وحيث ان التوحيد هو المبدأ الجمالي، فان مما ينبني على ذلك ان هدف الفن الاسلامي هو التأكيد على الترابط التوحيدي بين الدين والفن.

٣. ساعد أسلوبا الترغيب والترهيب المتبعين في السرد القصصي القرآني على تهيئة الاسباب النفسية والاجواء الفكرية للمصور الاسلامي وبسببهما تم انتاج صور فنية ابداعية، يرمي من ورائها إلى تبصير العقول واحياء القلوب وتهذيب النفوس وتعزيز القيم السامية، الامتناع عن الصفات الرذيلة.

٤. ان الفن الذي يتسم بأنه من العادات الحسنة كونه تطهير للنفس البشرية من خلال التخلي ثم التحلي ومن بعد ذلك التجلي قيماً اخلاقية هو الفن الذي بسببه يتم التوجيه إلى القيم الايجابية في المجتمع، ويعمل على اشاعة الالفة والمحبة والمودة والتعاون بين المكونات المجتمع عاملا على الارتقاء بفكر وذوق الإنسان وتحرير النفوس وتعديل السلوكيات واطلاق طاقات الانسان.

التوصيات:

١. الاهتمام بدراسة الفن الاسلامي ومضامينه الاخلاقية والدينية والفكرية والاجتماعية والتربوية، ضمن مقررات المناهج الدراسية لطلبة كليات الفنون الجميلة في العراق.

٢. ضرورة تفعيل دور المؤسسات التعليمية والفنية في دول العالم العربي والاسلامي بجميع التراث الاسلامي وبشتى معالمه الفنية والادبية والثقافية والحضارية، واعادة ما تم سرقته والاستيلاء علية من قبل الدول الغربية في أثناء الحقب الاستعمارية وحملات التنقيب والحروب والاحداث المختلفة.

المقترحات: يقترح الباحث دراسة الموضوعات الاتية:

١. القيم العادات الحسنة في المظاهر الاجتماعية المنبثقة من الفن الاوربي الحديث.

٢. تمثلات الخير والشر في فنون مابعد الحداثة.

٣. جماليات تمثل الخطاب المقدس في الفن العراقي الحديث.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١) ابن سينا: **في علم الاخلاق**، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، تحقيق: حسن عاصي، ١٩٨٦.

٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: **لسان العرب** ج٢، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦.

٣) الالفي، أبو صالح: **الفن الاسلامي (اصوله، فلسفته، مدارسه)** دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨.

٤) بدوي، عبد الرحمن: **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٨٣.

٥) ت. ج، دي بور: **تاريخ الفلسفة في الاسلام**، نقله للعربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر. ب.ت.

٦) حسني، ايناس: **التلامس الحضاري الاسلامي**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٩.

٧) الحنبلي، أبو عبد الله: **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، دار الراية للنشر والتوزيع، دمشق، المجلد ١.

٨) ديماند، م. س: **الفنون الاسلامية**، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢.

٩) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، ج١، ذوي القربة والنشر، مطبعة سليمان زاده، ط١، قم، ايران، ٢٠٠٥.

١٠) العبار، موزه احمد راشد: **القيم الاخلاقية بين الفكرين الاسلامي والغربي في عصر العولمة**، الدار العالمية للنشر، ط ١، ٢٠٠٨.

١١) عبدالمنعم، محمود عبدالرحمن: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، المجلد الاول، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٩.

١٢) الفيروز ابادي: **القاموس المحيط**، تصحيح الشيخين نصر الهوريني ومحمد قطة العدوي. مطبعة بولاق، مصر، ١٩٨٢.

١٣) مبارك، زكي: **الأخلاق عند الغزالي**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٠.

١٤) محمد، سعاد ماهر: **الفنون الاسلامية**، مكتبة الاسرة، مصر. ٢٠٠٥.

١٥) هادي، بلقيس محسن: **تاريخ الفن العربي الاسلامي**، طبع بجامعة بغداد، العراق، ١٩٩٠

Sources

The Holy Quran

1) Ibn Sina: On the science of ethics، among nine treatises on wisdom and natural matters، edited by: Hassan Assi, 1986.
2) Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din: Lisan al-Arab, vol. 2, Beirut Printing and Publishing House, Beirut: 1956.
3) Al-Alfi, Abu Saleh: Islamic art (its origins, philosophy, and schools), Dar Al-Maaref, Cairo, 1998.
4) Badawi, Abdul Rahman: From Greek philosophy to Islamic philosophy, University Press, Algeria, 1983.
5) T. C, De Boer: The History of Philosophy in Islam, translated into Arabic and commented on by Muhammad Abd al-Hadi Abu Raida, Tunisian Publishing House. Bit.
6) Hosni, Enas: Islamic civilizational contact, the world of knowledge, Kuwait, 2009.
7) Al-Hanbali, Abu Abdullah: Explaining the Law of the Saved Sect and Avoiding the Reprehensible Sects, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, Damascus, Volume
8) Demand, M. S: Islamic Arts, Dar Al-Maaref, Egypt, 1982.
9) Saliba, Jamil: The Philosophical Dictionary, vol. 1, Dhauli al-Qirbah al-Nashr, Soleiman Zadeh Press, 1st edition, Qom, Iran 2: 2005.
10) Al-Abbar, Moza Ahmed Rashid: Moral values between Islamic and Western thought in the era of globalization, International Publishing House, 1st edition, 2008.
11) Abdel Moneim, Mahmoud Abdel Rahman: Dictionary of Jurisprudential Terms and Terms, Volume One, Dar Al-Fadhila for Publishing and Distribution, Saudi Arabia, 1999.
12) Al-Fayrouzabadi: Al-Qamoos Al-Muhit, edited by Sheikhs Nasr Al-Hourini and Muhammad Qatta Al-Adawi. Boulaq Press, Egypt, 1982.
13) Mubarak, Zaki: Ethics according to Al-Ghazali, Modern Library Publications, Beirut, 1980.
14) Muhammad, Souad Maher: Islamic Arts, Family Library, Egypt. 2005.
15) Hadi, Balqis Mohsen: History of Arab-Islamic Art, printed at the University of Baghdad, Iraq, 1990.

الاشكال

شكل (١) رسم للواسطي مرافق للمقامة الفراتية من مقامات الحريري، عام ١٢٣٧ م.

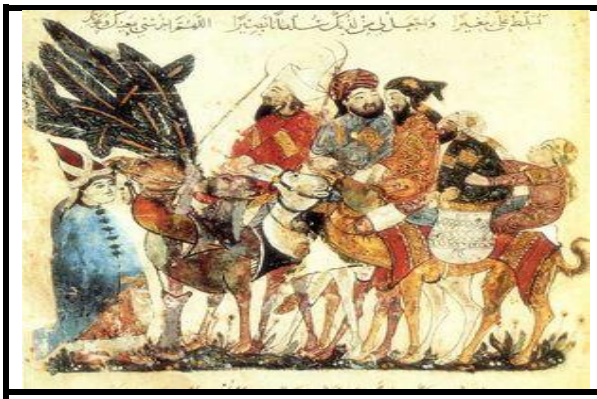

شكل (٢) رسم للواسطي مرافق للمقامة الدمشقية من مقامات الحريري، عام ١٢٣٧ م.

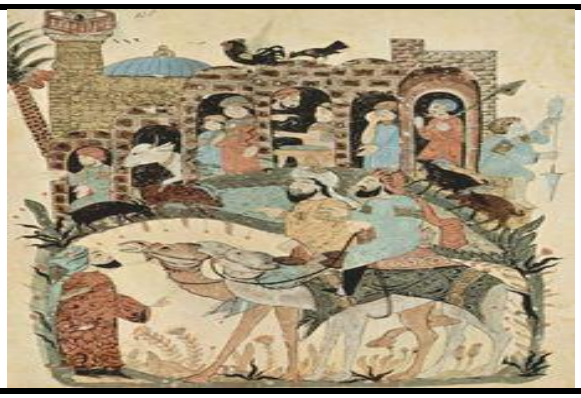

شكل (٣) الواسطي– ابا زيد الهلالي والحارث في قرية البخلاء

شكل (٤) الشيخ يشكو ولده للقاضي

شـــكل (٥) تنفيذ كمال الدين بهزاد، بناء قصـــر الخورنق، وهي محفوظة في المتحف البريطاني

شكل (٦) تنفيذ كمال الدين بهزاد جيش تيمور لنك

شكل (٧) عثمانية، الحسن (ع) على فراش الموت تنفيذ محمد بن سليمان فضلي. متحف ايسر ليري للآثار الإسلامية والتركية– اسطنبول.	شكل (٨) عثمانية، استشهاد الامام الحسين (ع) على فراش الموت تنفيذ محمد بن سليمان فضلي. متحف ايسر ليري للآثار الإسلامية والتركية– اسطنبول.